بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ من أعظم الأدعية الواردة وأجمعها للخير ذلكم الدُّعاء المبارك الذي اشتملت عليه سورة الفاتحة أفضلُ سور القرآن الكريم في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة].

فهذا دُعاء عظيم مبارك، بل هو أنفع الدُّعاء وأعظمه، وحاجة النَّاس إليه أعظَمُ من حاجتهم إلى سائر الأدعية، ولهذا أُمِرُوا بالدُّعاء به في كلِّ ركعة من صلاة، فالمسلم يقوله في كلِّ يوم سبعَ عَشْرَة مرَّةً فرضاً واجباً، ولم يكن مثل هذا لأيِّ دعاء آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كان أنفع الدُّعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة] ، فإنّه إذا هَداهُ هذا الصِّراط أعانه على طاعته وتَرْك معصيته فلم يُصِبْهُ شرٌّ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، لكنَّ الذُّنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كلِّ لحظة، وهو إلى الهدى أحوجُ منه إلى الأكل

والشُّرب. ليس كما يقوله طائفة من المفَسِّرين: إنَّه قد هداه. فلماذا يسأل الهدى؟. و إنَّ المراد بسؤال الهدى: الثَّبات أو مزيد الهداية.

بل العبد محتاج إلى أن يعَلِّمَهُ رَبُّه ما يفعله من تفاصيلِ أحواله، وإلى ما يتولَّد من تفاصيل الأمور في كلِّ يوم، وإلى أن يُلْهَم أن يعمل ذلك، فإنَّه لا يكفي مجرَّدُ علمه إن لم يجعله الله مريداً للعمل بعلمه، وإلَّا كان العلم حُجَّةً عليه، ولم يكن مهتدياً، والعَبْدُ محتاج إلى أن يَجْعله الله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصَّالحة. فإنَّهُ لا يكون مهتديا إلى الصِّراط المستقيم -صراط الذين أنعم الله عليهم من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين - إلَّا بهذه العلوم والإرادات والقدرة على ذلك. ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه. ولهذا كان النَّاس مأمورين بهذا الدُّعاء في كلِّ صلاة لفَرْط حاجتهم إليه. فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدُّعاء. وإنَّما يَعْرِفُ بعض قدر هذا الدُّعاء من اعتبر أحوال نفسه ونفوس الإنس والجنِّ والمأمورين بهذا الدُّعاء، ورأى ما في النُّفوس من الجهل والظُّلم الذي يقتضي شقاءها في الدُّنيا والآخرة، فيعلم أنَّ الله - بفضله ورحمته - جعل هذا

الدُّعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير المانعة من الشَّرِّ»[1].

ومع ما لهذا الدعاء العظيم من مكانة وقدر إلَّا أنَّ كثيراً من النَّاس قد يقرأ هذا الدُّعاء في سورة الفاتحة دون أن يستشعر أنَّه دُعاء، فما أحوج عوامَّ المسلمين إلى التَّنبيه إلى أنَّ هذا دعاءٌ عظيم أمر الرَّبُّ سبحانه وتعالى عباده أن يدعوه به.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : «فإذا تأمَّل العبد هذا، وعلِم أنَّها نصفان نصفٌ لله وهو أوَّلُها إلى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ونصفٌ للعبد دعاءٌ يدعو به لنفسه وتأمَّل أنَّ الذي علَّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرِّره في كلِّ ركعة، وأنَّه سبحانه من فضله وكرمه ضمِن إجابة هذا الدُّعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب، تبيَّن له ما أضاع أكثر النَّاس»[2].

و قال رحمه الله في رسالة لطيفة عظيمة النَّفع فيما ينبغي للمُعلِّم أن يُعَلِّمَهُ: «ومن أعظم ما تُنَبِّهُهُ عليه التَّضرُّع عند الله والنَّصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلَّى»[3].

وما أحْوَجَهُم كذلك إلى تَعقُّل معناه، وفهم دلالاته ومعرفة كمال هذا الدُّعاء المبارك، وجمعه لخيرَي الدُّنيا والآخرة وأنَّهُ من أجمع الأدْعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على المسلم أن

(1): مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٢٠-٢٢١)
(2): الدرر السنية (١٠/٢٨)
(3): الدرر السنية(١/١١٥)

يدعو الله به في كلِّ ركعة من صلاته لضرورته إلى هذه الدَّعوة الجامعة المباركة.

وقد بيَّن رحمه الله وجه كَون هذا الدُّعاء جامعًا لخيري الدُّنيا والآخرة، فقال: «أمَّا جمعُه لخير الآخرة فواضح، وأمَّا جمعه لخير الدُّنيا فَلِأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦]، والإيمان والتَّقوى هو الصِّراط المستقيم، فقد أخبرَ أنَّ ذلك سببٌ لفتح بركات السَّماء والأرض، هذا في الرِّزق، وأمَّا في النَّصر فقد قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]، فأخبرَ الله أنَّ العزَّة تحصُل بالإيمان وهو الصِّراط المُستقيم، فإذا حصلَ العزُّ والنَّصْرُ وحصلَ فتح بركات السَّماء والأرض فهذا خير الدُّنيا»[4].

وإنَّ خير ما يفتح للمسلم باب فهم هذه السُّورة وما اشْتَملت عليه من دُعاء عظيم جامع ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسَمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نِصْفَين ولعَبْدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾،

(4): الدرر السنية (١٠/ ٢٥)

قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، قال: مجَّدني عبدي، وقال مرَّةً: «فوَّضَ إليَّ عبدي»، فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾، قال: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[5].

فإذا تأمَّل ذلك العَبْدُ، وعلِمَ ما اشتملت عليه هذه السُّورة من الثَّناء على الله عز وجل وتعظيمه وما تضمَّنتهُ من دعَاء وسُؤال وطلب من الله عز وجل، «وأيقن بإجابة الله له»، تبيَّن له عظيم نفعها وأثرها، وكثرة فوائدها وعوائدها فإذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، وقف هُنَيْهَةً ينتظرُ جواب رَبِّه له بقوله: «حمدني عبدي»، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾، انتظر الجواب بقوله: «أثنى عليَّ عبدي»، فإذا قال: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، انتظر جوابه بقوله: «مجَّدني عبدي»، فيا لذَّة قَلبِه وقُرَّة عَيْنِه وسرور نفسه بهذا الفضل العظيم والنَّوال الكريم.

(5): مسلم رقم (٣٩٥)

مكانة الدعاء الوارد في

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المجة